

المستشرقون والسيرة النبوية : "كارل بروكلمان أنموذجا"

د. محمد رزوق (*)

اهتم المستشرقون منذ وقت مبكر بدراسة السيرة النبوية، على اعتبار أنها المنطلق الأساسي لفهم تصرفات المسلمين وعقليتهم. وقد كانت الأندلس خلال العصور الوسطى مجالا خصبا لهذا الاقتحام في إطار الصراع القائم آنذاك بين المسلمين والمسيحيين، إذ عمد الرهبان إلى ترجمة الكتب العربية، ومن ضمنها كتب السيرة، كما وصلت وفود من العلماء المسيحيين إلى الأندلس لتعلم اللغة العربية، مما نتج عنه ترجمة القرآن الكريم وبعض مصادر السيرة إلى اللغة اللاتينية، وكان هذا كله بمشاركة ملوك أوروبا والكنيسة، لكن يبقى السؤال مطروحا هل أسفر هذا الاقتحام الغربي للثقافة العربية الإسلامية عن نتائج إيجابية ؟

إنّ الوقائع التاريخية تبين أنّ هذه العملية لم ينتج عنها أيّ حوار حضاريّ جاد. ولم يكن السبب هو الطرف الإسلاميّ، إذ كانت صفة التسامح هي الغالبة، فقد اندمج المسيحيّون واليهود في الثقافة العربية

(*) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الإنارة، الدار البيضاء، المغرب.

الإسلاميّة أثناء ازدهار الحضارة الإسلاميّة بالأندلس، لكن عندما ضعف الأندلسيّون، وحاولوا ترجمة المصادر المسيحيّة، ومن ضمنها إنجيل (برنابا) قال عنها الإسبان "أنّها مزوّرّة" وكان في الأخير مصير الثقافة العربيّة الإسلاميّة بالأندلس هو الإقصاء.

وخلال فترة العصر الحديث بأوروبا، كانت هناك مجهودات كبيرة في إنشاء أقسام للغة العربيّة بعدد من الجامعات الأوروبيّة، وقامت بعدّة أعمال في مجال السيرة النبوّية، أطلع على بعضها بعض علماء المسلمين منذ وقت مبكر وقاموا بالردّ عليها.

وسوف نحاول أن نركز في هذه الورقة على نموذج واحد هو كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلاميّة (1).

1 - موقف الباحثين العرب من كارل بروكلمان :

اهتم عدد من الباحثين العرب بكارل بروكلمان أحد أقطاب المدرسة الاستشراقية الألمانية، غير أنّ موقفهم منه يختلف من باحث لآخر.

وهكذا يقول عنه نجيب العقيقي : "... اشتهر بروكلمان بحجم نشاطه وغازارة إنتاجه الذي اتّصف بالموضوعية والعمق والشمول والجدّة، مما جعله مرجعا للمصنّفين في التاريخ الإسلامي، والأدب العربي، إذ قلّ منهم من لم يستند إليه أو يتوكأ عليه..." (2).

واستعرض أعماله البالغ عددها خمسمائة وخمسين كتابا. ويقول عنه عبد الرحمان بدوي : "... من ذا الذي يمكن أن يستغني عن" تاريخ

(1) سنعتمد الترجمة العربية التي أنجزها نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة العاشرة، 1984م، بيروت، لبنان.

(2) العقيقي نجيب، المستشرقون، القاهرة، 1980، 424/2 - 425.

الأدب العربي "بأجزائه الخمسة ؟ ! إنه لا يزال حتى الآن. المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالخطوط العربية وأماكن وجودها" (3).

ويقول عن كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية موضوع الورقة: "ظهر الكتاب سنة 1939 م، وهو يعطي صورة شاملة لتاريخ الشعوب الإسلامية كلها منذ بداية الإسلام حتى سنة 1939م، دون مناقشات للمشاكل العديدة المتصلة بهذا التاريخ، معتمدا على يوليوس فلهوزن وليوني كيتاني فيما يتعلق بتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية..." (4).

غير أن هناك طائفة من الباحثين العرب تصنفه ضمن من تسميهم "المستشرقون الحاقدون على الإسلام".

من ضمن هؤلاء لخضر شايت الذي يقول في هذا الصدد : "قدم الألماني كارل بروكلمان مجهودا بالغاً في الدراسات العربية، ويعتبر كتابه : "تاريخ الأدب العربي" فتحاً في بابهِ، ولكنه فيما يخصّ الدراسات الإسلامية لم يُقدم أيّ إضافة، ما عدا عمله على نشر فكرة تأليف النبي ﷺ للإسلام متأثراً في ذلك باليهودية والمسيحية. والحقيقة أن كره بروكلمان للإسلام لا يبدو فقط في أفكاره الكاذبة التي يشاركه فيها غيره من المستشرقين، بل في أسلوب الوصف (البارد) الذي كان يقدمه بكل مبحث إسلاميٍّ درسه، فبدأ بذلك غير مهتمٍّ بموضوعات بحثه أصلاً، بما يجعلنا نندش من تعرّضه للإسلام بالدراسة مادام لا يريد أن يتعلّم أو يعلم عنه شيئاً ... وهو يعلمنا مثلاً أنه لا يجوز للباحث أن يحكم على الإسلام بناءً على القرآن وحده، وأنّ الإسلام هو مجرد نقل

(3) بدوي عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين، ص : 57، بيروت، 1984.

(4) م ن، ص 64.

للديانات التوحيدية السابقة ... وقد اتهم بروكلمان النبي ﷺ بتأليف دينه عن اليهود والنصارى مركزاً على المصادر اليهودية التي أخذ عنها فكرة الخطيئة الأصلية...⁽⁵⁾.

2 - بروكلمان والسيرة النبوية :

قسم بروكلمان دراسته لحياة الرسول ﷺ إلى قسمين :

القسم الأول سماه : "محمد الرسول" وتناول فيه عدة نقاط منها: شباب النبي - زواجه - بعثته - المؤمنون السابقون - الهجرة إلى الحبشة - الهجرة إلى المدينة - موقف النبي من اليهود - موقعة بدر - موقعة أحد - فتح مكة - موقعة حنين⁽⁶⁾.

أما القسم الثاني، فخصصه لتعاليم الرسول ﷺ، وتناول فيه بالدرس عدة نقاط تتعلق بالحج والجهاد، ونظام الزواج، والرق في الإسلام⁽⁷⁾. وهناك عدة قضايا أثارها بروكلمان في هذا القسم المخصص للسيرة النبوية، وسوف نكتفي باستعراض بعضها، محاولة منا للتعرف على منهج بروكلمان في دراسة السيرة النبوية، وإبراز أدواته المعرفية المستخدمة لهذه الدراسة.

ولعل أهم ملاحظة تتبادر إلى الذهن، ونحن بصدد دراسة ما ورد عند بروكلمان هو أنه لا يذكر مصادره، مما جعل الغموض يلف كثيراً من القضايا التي أثارها، ونحن نعلم مسبقاً اطلاعه الواسع على التراث العربي الإسلامي، مما يجعلنا نطرح سؤالاً مركزياً : ما المقصود من عدم ذكر مصادره ؟

(5) لخضر الشايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، الرياض، 2002 م ، ص 263 - 264.

(6) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص : 31 - 67.

(7) م ن ، ص : 68 - 82.

3 - التشكيك في عالمية الرسالة :

يقول بروكلمان في هذا الصدد : "وليس من الميسور أن نقرّر على وجه الدقة، ما إذا كان النبي قد استشعر أنه مدعوّ لمثل هذه الرّسالة العالميّة" (8). و يقول أيضا : "ولكن أحداً أول الأمر لم يكن يتوقع أن يعتنق غير العرب الإسلام" (9).

إنّه رغم وضوح الأدلة التي تستند عليها الحقيقة الدينية القائلة بأنّ الإسلام دين عالمي في توجّهاته، ومنذ لحظاته الأولى، إلّا أنّ عددا من المستشرقين المعاصرين ومنهم بروكلمان حاول أن يرد ظهور فكرة العالميّة إلى التطوّرات التي أحدثها تغيير موازين القوى في الجزيرة العربيّة بعد فترة من إقامة النبي ﷺ في المدينة، وقد تبنّى هذا الموقف كانياني والأب لاماسن، اللذان أوحى أفكارهما للمستشرق الإنجليزي سوندرز بقوله : "ما من دليل واف يدلّ على أنّ محمّداً كان يتصوّر الإسلام ديناً عالمياً، أو يتصوّر أنّه أرسل لهداية شعب من الشعوب غير شعبه العربي. و ليست قصّة رسائله : إلى الإمبراطور هرقل وشاه فارس وملك الحبشة للدخول في دينه بالقصة التي تقوم على أساسها" (10).

وقد ذهب وات إلى نفس المنحى إذ أنكر وجود مراسلات دعويّة وجهها النبي ﷺ إلى ملوك العالم، وبرّر ذلك بعدم معقوليّة هذا الإجراء "لأنّه لا يمكن تصوّر إمبراطور الرّوم، ونجاشي الحبشة يستجيبان لمثل هذه الدعوة" (11)، وحكم بوضع المسلمين لهذه الروايات لتكون سندا لفكرة عالمية الإسلام : "قال" والروايات التاريخية تقول : إنّ محمّداً أرسل

(8) المصدر السابق، ص : 71.

(9) م ن ص : 107.

(10) العقاد عباس محمود، ما يقال عن الإسلام، ص : 71.

(11) محمد في المدينة، ص : 62.

بعد عقده صلح الحديبية ستة رسل إلى ملوك البلدان المحيطة يدعوهم إلى الإسلام، ولكن الطرق النقدية الحديثة تبين أن هذه الرواية مشكوك فيها، ومن المحتمل أن تكون من وضع المسلمين ليثبتوا أن محمداً كان يفكر بأن دينه عالمي" (12).

وبهذه النقول سيتبين أن بروكلمان ومعه مجموعة من المستشرقين أنكروا أصولية التوجهات العالمية للدعوة الإسلامية، في حين تؤكد الكثير من الأدلة القرآنية مبدأ العالمية في أكثر من موضع، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (13)، وقوله أيضا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (14) وهناك جملة تكررت كثيرا في القرآن، وهي وصف التعاليم الإلهية بأنها ذكر للعالمين (15)، وكلمة (العالمين) في القرآن الكريم دائما لها معنى عالمي، فالله "رب العالمين"، إذ المقصود هو الإنسانية بأوسع معانيها (16).

وقد أضاف جولدزيهر إلى دلالة القرآن الكريم الأدلة الحديثية فقال : "إننا نجد أن" المتواتر من الأحاديث الإسلامية نفسها تعبير عن إدراك النبي ﷺ بأن رسالته موجهة إلى الجنس البشري بأسره... وبحسب هذه الأحاديث نرى النبي قد عبّر عن فكرته في فتح العالم بأقوال واضحة... وبعض هذه الأحاديث ترى أن في القرآن نفسه وعدا بفتح إمبراطورية فارس والروم" (17).

Mohamed prophète et homme d'Etat, p.170 (12)

(13) سورة الأنبياء : 107/21.

(14) سورة سبأ : 28/24.

(15) انظر : سورة يوسف : 104/12، سورة التكوين 31/28.

(16) جولدزيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام، ص : 31.

(17) م ن، ص 32.

والحقيقة أنّ جولد زيهر قد بحث هذه المسألة بشكل جيد، حيث جمع عددا كبيرا من النصوص والأدلة التي تؤكد التوجّهات العالمية للرّسالة الإسلامية منذ بدء الدّعوة، ومن ذلك غزوات النبي ﷺ نحو الشمال، ووصيته بإتمام غزو أسامة بن زيد للشّام.

لقد حاول بعض المستشرقين التّشكيك في عالمية الرّسالة، انطلاقا من التّشكيك في صحّة أخبار مراسلات النبي ﷺ إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، إلا أنّ ما يثبت هذه الرسائل شيئا : يتمثّل الشيء الأوّل في إجماع المؤرخين المسلمين على أمر إرسال النبي ﷺ عددا من أصحابه إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، ونجاشي الحبشة، وأمير مصر، وملك حمير، وملك اليمن، وملكى اليمامة وملك البحرين وغسان. كما أجمعوا على أنّ موضوع رسائله كان دعويا، فقد خرج النبي ﷺ يوما على أصحابه وقال لهم : "إنّ الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله" (18)، ثم أرسل رسله إلى العالم، وقد وجدت هذه الرسائل مكتوبة، كما تمّ نقلها بالرواية، واستوثق منها العلماء فقال ابن إسحاق : "حدثني يزيد بن حبيب المصري أنّه وجد كتابا في ذكر من بعث رسول الله ﷺ على البلدان وملوك العرب والعجم. وما قال لأصحابه حين بعثهم... فبعث به إلى محمد بن شهاب الزّهري فعرفه..." (19).

ولم يختلف علماؤنا إلّا في تاريخ هذه الرسائل، فقد جعلها البيهقي بعد موته أي في السّنة الثامنة للهجرة، وجعلها الواقدي في ذي الحجة آخر سنة ستة، بعد عمرة الحديبية، وجعلها ابن هشام بعد فتح مكة، أما ابن إسحاق، فلم يحدد لها تاريخا دقيقا. أما الشيء الثاني، فيتمثّل في أنّ

(18) سيرة ابن هشام 6/13.

(19) ن. م. ص

انتقال الرسول ﷺ إلى الجهاد دليل على إعلانه للدّول المحيطة ضرورة الإيمان به، وبالفعل فقد شهدت الحدود البيزنطية وصول أوّل حملة إسلاميّة إليها في سنة ثمانية، ثم تلتها غزوة تبوك التي قادها النبي ﷺ بنفس سنة تسعة.

4 - موقف الرسول ﷺ من اليهود :

يقول بركلمان : "وتأثرت اتجاهات النبي الدّينية في الايام الأولى من مقامه في المدينة، بالصّلّة التي كانت بينه وبين اليهود. وأغلب الظنّ أنّه كان يرجو، عقب وصوله إلى المدينة، أن يدخل اليهود في دينه. وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي" (20).

هكذا أقرّ بروكلمان بكلّ سهولة أنّ الرسول ﷺ بذل شعائر الإسلام حتى يرضى عنها اليهود : "فشرّع صوم العاشوراء، وهو اليوم العاشر من المحرم، على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفّارة الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشرّي، وبينما كان المؤمنون في مكّة لا يصلون إلا مرتين في اليوم، أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضا، صلاة ثلاثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودي" (21).

ويدخل في هذا الإطار ما يردّه عدد من المستشرقين من أن الرسول ﷺ حتما التقى باليهود بالمدينة على قلّة علمه بكثير من الموضوعات العقدية وقصص الأنبياء، ولذلك سعى إلى إكمال تعلّمه عنهم.

(20) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 46.

(21) م ن، ص 47.

ونذكر في هذا الصدد ما ذهبت إليه دائرة المعارف الإسلامية حين قرّرت جهل النبي ﷺ بقصة إبراهيم عليه السلام وبنيه في الفترة المكيّة، والادعاء بأنّه قد اكتسب علما صحيحا بالموضوع لما اتصل باليهود.

إننا نستطيع أن نفنّد كلّ نقطة وردت عند بروكلمان، لكن سوف نكتفي بواحدة فقط، وهي الزيادة في عدد الصلوات، إذ أكد أنّ المسلمين قد زادوا في عدد صلواتهم في المدينة (واحدة) فأصبحوا يصلون ثلاث مرات. وهذا مخالف للواقع، حيث أن الصلاة قد فرضت في مكّة، وكانت - وظلت - خمس صلوات. ولم يلحق التغيير إلا شيئا واحدا منها هو زيادة عدد ركعات الصلوات الرباعية بالنسبة للمقيم.

ولكن الشيء الذي لا يمكن أن يوافق عليه باحث موضوعي ونزيه هو ادّعاء وات بأنّ النبي ﷺ قد رضي من اليهود أن يبقوا على دينهم، كما تنازل ﷺ عن اعتبارهم موضوعا لدعوته شرط الاعتراف به نبيا للعرب. وقد كان وات مصرا على هذه الفكرة فتبناها في كتابه "محمد في المدينة" حيث قال : "يحقّد لنا أن نعتقد أنّ محمدا فكّر بمنظّمة دينيّة وسياسيّة تضمن شيئا من الوحدة للأمة الإسلاميّة، دون أن يطلب من اليهود التخلي عن عقيدتهم أو أن يعترفوا به كنبي طلب إليه أن يبلغهم رسالة إلهية.

يتفق هذا المشروع مع الفكرة العامة القائلة بأنّ كل نبيّ يُرسل إلى أمة معيّنة، فيكون محمد قد أرسل للعرب" (22). وقد ردّد الزعم نفسه في كتابه "محمد نبي ورجل دولة"، حيث قال : "لكن محمدا كان يطمح إلى أكثر من التحالف، ومن المحتمل أنّه خصّص وقتا طويلا... في محاولة

(22) لخضر الشايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص : 502.

الحصول من اليهود على اعتراف بمهمته النبوية... وكان يهتم بقبوله، ولو جزئيا من اليهود... ويبدو أنه كان مستعدا لقبول بقائهم على دينهم لو قبلوه نبيا مساويا لأنبيائهم" (23).

5. صراع الرسول ﷺ مع اليهود :

يقول كارل بروكلمان في غزوة بني النضير : "وَأثَرَتْ هَزِيمَةُ أَحَدٍ فِي مَرْكَزِهِ وَمَكَانَتِهِ عِنْدَ الْبَدْوِ الْمُحَلِّينَ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي مَقْتَلِ أَرْبَعِينَ مِنْ رِسْلِهِ فِي قَبِيلَةِ هُوزَانَ. وَكَانَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ يَعْوِضَ هَذِهِ الْخُسَارَةَ الَّتِي أَصَابَتْ مَجْدَهُ الْعَسْكَرِيَّ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، فَفَكَّرَ فِي الْقَضَاءِ عَلَى الْيَهُودِ، فَهَاجَمَ بَنِي النَّضِيرِ لِسَبِّ وَاهٍ وَحَاصَرَهُمْ فِي حَيْثُمْ فَاضْطَرُّوا لِلِاسْتِسْلَامِ بَعْدَ حَصَارٍ دَامَ بَضْعَةُ أَسَابِيعٍ ..." (24).

هكذا يقفز بروكلمان على أحداث تاريخية هامة، ويفسر أن حربه لبني النضير كان لسبب واه، فنسي أن يذكر المؤامرة التي دبرتها للرسول ﷺ لتصفيته، ونقضهم للمعاهدة المبرمة بينهم وبين المسلمين، وكتب السير تحفل بالعديد من التفاصيل في هذا الشأن كان على بروكلمان أن يأخذها بعين الاعتبار قبل أن يصدر حكمه.

وبصفة عامة، فمن الأسباب التي دعت الرسول ﷺ إلى التصعيد في موقفه من اليهود، حسب العديد من المستشرقين يرجع إلى رفض اليهود الاستجابة لدعوته، فقال غروبنوم : "وقد أثار رفض مطالبه من طرف الجماعة اليهودية ... في نفسه أثرا بالغا، وشكل صدمة عنيفة ... وكان

Watt. Montgmer, Mohamed prophète et homme d'Etat, p.88. (23)

(24) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 52.

ردّ فعله على موقف اليهود هو تحويل قبلة المسلمين نحو الكعبة، التي أعلن حينذاك بأنها بنيت من طرف إبراهيم عليه السلام، وأنه كان أول المسلمين" (25).

ويرى وات : "أنّ اليهود عموماً، بنقدهم الشّفهي للوحي القرآني كانوا يحاولون نسف أسس الجماعة الإسلامية كلّها، وكانوا أيضاً يقدمون مساندة سياسية لأعداء محمد، ولخصوم آخرين مثل المنافقين. ومن المؤكّد أنّه عند إمساك اليهود عن هذا الشكل من النشاط المعادي فإنّ محمداً قد سمح لهم بالعيش في المدينة دون تعرض لحيف" (26).

6 - الجهاد في الإسلام :

"يقول بروكلمان : "يتحتّم على المسلم أن يعلن غير المسلمين بالعداوة حيث وجدهم : لأنّ محاربة غير المسلمين واجب ديني، فأما أهل الوثنية فيجب أن يهاجموا في غير ما تردّد، وأنّ النصارى واليهود فلا تجوز مهاجمتهم إلّا بعد أن يدعوا إلى الدخول في الإسلام فيرفضوا ثلاث مرّات متواليات، حتّى إذا هزم أعداء الدّين كان نصيب رجائهم القتل ونصيب نساءهم وأطفالهم البيع في سوق الرقيق. وكل من يقتل في الجهاد من المسلمين تكون مأواه الجنة.." (27).

ينظر عدد كبير من المستشرقين إلى موضوع القتال في الإسلام باعتباره لازمة من لوازم بناء الدولة بعد انتقال النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

Grunbaum. G. Von, l'Islam médiéval, p. 89 - 90. (25)

Watt . Montgomery. op.cit. , p. 154. (25)

(26) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص : 78 - 79.

(27) سورة الحج : 40/22.

حيث استعان به من أجل إحكام سلطته فيها، ثم الامتداد بحدود دولته إلى مناطق جديدة بواسطة إخضاعها لسلطان الدين الذي جاء به. ومعنى هذا أنهم نظروا إلى الجهاد نظرتهم إلى استعمال القوة في الدولة الحديثة، أي باعتبارها رافدا للسياسة. ولهذا فقد كان استخدام القوة في الإسلام بالنسبة لهم إحدى النقالات التي شهدها الإسلام في العهد المدني حيث تحول النبي ﷺ من داعية إلى مشيد دولة.

كما ذهب صنف آخر من المستشرقين الذين ذهبوا إلى إبراز الطابع الوضعي - حسبهم - لغزوات النبي ﷺ، حيث لم يروا فيها إلا حركة قوم جياع احتاجوا إلى تحصيل القوت، وذهبت فئة أخرى إلى تحليل موضوع الجهاد، ولاحظت أنه مرّ بمراحل متعددة، حيث تحول استعماله من وسيلة لردّ العدوان إلى وسيلة إلى مهاجمة المشركين، ثم العالم أجمع.

ومع تقدير الإسلام للجهاد باعتباره واجبا يتحقق به العدل، لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (28).

إلا أن له شأنا فيه يتمايز به عن كل قتال شهدته البشرية، فقد حرّم على المسلمين الإفساد فيه، ومنه قتل غير المحاربين، وقد مرّ تشريع الجهاد بمراحل :

(28) سورة الحج 39/22.

أ - تحريم القتال، وذلك طيلة العهد المكيّ.

ب - بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وكثرة أنصاره ومؤيديه، أذن الله لهم بالقتال دون أن يفرض عليهم في قوله تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (29).

ج - فرض القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ (30).

د - فرض قتال المشركين كافة، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (31).

تلك كانت رؤية كارل بروكلمان للسيرة النبوية، وهي رؤية ناقصة لا تصمد أمام البحث العلمي الرصين، كما أنها لا تقتصر على كارل بروكلمان فحسب، بل تتعداه إلى العديد من المستشرقين، لذلك يتوجب، في تقديرنا، على الباحثين العرب أن يقوموا بتقويم ما كُتب عن السيرة في الماضي والحاضر، بأسلوب حضاري منفتح يردّ الحقّ إلى نصابه، لأن قضايا السيرة هي قضايا العصر، ومن شأن الفهم الصحيح للسيرة أن يفتح جسور الحوار مع الغرب بشكل أفضل مما هو عليه الآن.

(29) سورة البقرة 190/2.

(30) سورة التوبة : 5/9.

(31) سورة التوبة : 5/9.

